



الدرس التاسع

رمضان شهر القرآن (١)
(تدبر القرآن
والعمل به)

عناصر الدرس:

- ١- تدبر القرآن.
- ٢- أحوال السلف مع تدبر القرآن.
- ٣- العمل بالقرآن.
- ٤- أنواع تدبر القرآن.
- ٥- ثمرات تدبر القرآن الكريم.



الدّرس التاسع

رمضان شهر القرآن (٢) (تدبر القرآن والعمل به)

تدبر القرآن:

التدبر لغة: دَبَّر الأمر وتَدَبَّره: نظر في عاقبته.

واصطلاحًا: التأمل في معاني القرآن، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك.

إن قراءة كتاب الله عبادة جليلة، والمقصود من القراءة التدبر والتعقل والفهم ثم العمل، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّيَذَّبَرُواْ عَنِ بَآئِهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوْاْ الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩].

وقال جل وعلا: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (حَثَّ عَلَى تَأْمُلِ مَوَاقِعِ الْقُرْآنِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ التَّدْبِيرِ، فَإِنَّهُ لَوْ خَوِّطَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْجِبَالُ - مَعَ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ فِيهَا - لَانْقَادَتْ لِمَوَاقِعِهِ، وَلَرَأَيْتُهَا - عَلَى صَلَابَتِهَا وَرِزَانَتِهَا - خَاشِعَةً مُّتَصَدِّعَةً، أَي: مُتَشَقِّقَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) [الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٤٤)].

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنْ أَصْغَى إِلَى كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ بِعَقْلِهِ، وَتَدْبِيرِهِ بِقَلْبِهِ، وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْفَهْمِ وَالْحَلَاوَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْمَنْفَعَةِ مَا لَا يَجِدُهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ لَا مَنْظُومِهِ وَلَا مَنْثُورِهِ) [اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٢٧٠)].

أحوال السلف مع تدبر القرآن:

إن المتأمل في أحوال السلف مع القرآن يجد أن ما هم فيه من جمال الحياة والسعادة بسبب تمسكهم بكتاب الله وتدبرهم له.

يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبنا ما شبت من كلام الله) [رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٧٩)].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن هذا القرآن مآدبة الله، فمن استطاع منكم أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإنه حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، ولا يعوجُّ فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد) [رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٧٥)].

وكان عمر رضي الله عنه يمر بالآية في ورده، فتخنقه، فيبكي حتى يسقط؛ ثم يلزم بيته حتى يعاد، يحسبونه مريضاً. [حلية الأولياء (١/ ٥١)].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي رحمته الله: (كنا إذا تعلّمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلّم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها، وحرامها، وأمرها، ونهيها).

ويقول الحسن البصري رحمته الله: (تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي قراءة القرآن، وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق) [أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧١)].

ويقول مالك بن دينار رحمته الله: (يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض؛ فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحش، فتكون فيه الحبة، فلا يمنعها ثن موضعها: أن تهتز، وتخضر، وتحسن؛ فيا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟)

[حلية الأولياء (٢/ ٣٥٨-٣٥٩)].



العمل بالقرآن:

أنزل الله جل وعلا القرآن ليكون منهاجاً لحياتنا: نتدارس فيه، ونطبق أوامره ونتجنب نواهيه، فالعمل بالقرآن سرّ السعادة في الدارين، وترك العمل به هو الشقاء والتعاسة، يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإنّ آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يُرزقون العمل به).

والعمل بالقرآن يكون بأمور، منها:

١- الالتزام بالواجبات فيه كالصلاة والصوم والزكاة، وغيرها من الفرائض التي ذكرها القرآن ووضّحها الرسول ﷺ.

٢- اجتناب المنهيات التي ورد النهي عنها في القرآن ووضّحها الرسول ﷺ.

٣- الالتزام بالأخلاق الإسلامية التي ورد الحث عليها في القرآن؛ كحسن الخلق، والصدق والوفاء بالعهد، وعفة اللسان من الغيبة والنميمة والبذاءة، وصفاء القلب من البغضاء والكراهية.

أنواع تدبر القرآن:

النوع الأول: تدبره لمعرفة صدق من جاء به، وأنه حق من عند الله تعالى.

النوع الثاني: تدبره للوقوف على عظاته، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار.

النوع الثالث: تدبره لاستخراج الأحكام منه، سواء كان ذلك مما يتصل بالعقائد، أو الأعمال المتعلقة بالجوارح، أو السلوك؛ إذ الأحكام تشمل ذلك كله بمفهومها الأوسع.

النوع الرابع: تدبره للوقوف على ما حواه من العلوم والأخبار والقصص، وما ورد فيه من أوصاف هذه الدار.

النوع الخامس: تدبره للوقوف على وجوه فصاحته وبلاغته وإعجازه، وُصُوف خطابيه، واستخراج اللطائف اللغوية التي تُسْتَبَطُّ من مضامين النص القرآني.

النوع السادس: تدبره لتعرُّفِ ضُروبِ المُحَاجَّةِ والجدال للمخالفين.

النوع السابع: تدبره من أجل الاستغناء به عن غيره؛ سوى السُنَّةِ فإنها شارحة له.

النوع الثامن: تدبره من أجل تليين القلب به وترقيقه، وتحصيل الخشوع.

النوع التاسع: تدبره من أجل الامتثال له، والعمل بما فيه من الأوامر، واجتناب النواهي.

ثمرات تدبر القرآن الكريم:

قال ابن القيم: (فليس شيءٌ أنفعَ للعبد في معاشه ومَعَادِهِ وأقربَ إلى نجاتِهِ من تدبُّرِ القرآن، وإطالة التأمُّل، وجمع الفكر على معاني آياته) [مدارج السالكين (١/٤٥١)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (إنَّ تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُسْتَنْتَجَج كل خير، وتُسْتَخْرَج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته؛ فإنه يُعرَّفُ بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما يُنَزَّهُ عنه من سمات النقص، ويُعرَّفُ الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرَّفُ العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب) [تفسير السعدي ص: ١٩٣].